مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 25 العدد: 64 السّنة: 2023 الثّلاثيّ الرّابع ص: 147 - 170

مستويات استعمال اللّغة العربيّة
(التّأصيل النّظريّ والأبعاد التّطبيقيّة)

Levels of Arabic language use
(Theoretical rooting and applied dimensions)

د. محمّد ولددالي♥

تاريخ الاستلام: 11-08-2023 تاريخ القبــول: 07-09-2023

ملخّص: تَعْرِفُ جميعُ اللّغات مستوياتٍ استعماليّة تؤثّر فيها عوامل عديدة كالمستوى الاجتماعي والثّقافي للمتخاطبين، واختلاف سنهم وجنسهم ومهنتهم واختلاف مواقف التّخاطب وفنون القول، فضلا عن اختلاف الرّقعة الجغرافيّة التي يُوجَّه إليها الخطاب ضيقا واتساعا.

وتشهدُ النّصوص التّراثيّة أنّ اللّسانيّين العرب القدامى بحثوا في مستويات استعمال اللّغة العربيّة، وحدَّدوا خصائص كل مستوى في كتبهم، خلافا لما ذهب إليه بعض الباحثين المحدثين. ولا شكّ أنّ الاستفادة من معطيات اللّسانيّات الاجتماعيّة، والمعطيات التّراثيّة في هذا المجال، يمكن أن تُستثمَر في علاج الكثير من الصّعوبات التي تُواجه استعمال اللّغة العربيّة، إن على مستوى التّخاطب الشّفويّ اليوميّ، وإن على مستوى التّعليم والتّعلُّم.

♥جامعة يحيى فارس المديّة، مخبر الدّراسات المصطلحيّة والمعجميّة، الجزائر، البريد الإلكتروني:oulddali.mohamed@univ-medea.dz (المؤلّف المرسل).

كلمات مفتاحيّة: الوضع؛ الاستعمال؛ المستوى اللّسانيّ؛ المستوى التّرتيلي؛ المستوى العفويّ.

Abstract: All languages in the world have different levels of linguistic use, which are in fact affected by social and cultural contexts including the participants, their age gender and social status. The setting, art of speech and the geographical area also influence language use.

Such ancient Arab Linguists wrote about the levels of Arabic language use and their characteristics. Benefiting from the data of sociolinguistics and of ancient Arabic studies in this field can be invested in treating many of the difficulties facing the use of the Arabic language, whether at the level of daily conversations, or even at the level of teaching and learning.

Keywords: Code; use; Linguistic level; Standard level; Spontaneous level.

1. مقدّمة: يقوم كلّ لسان على نظام خاصّ به، يتواضع عليه أبناؤه، وهو ما يُسمّى **بالوضع** (le code) وهذا الوضع هو أساس التّفاهم بين مُستعملي ذلك اللّسان، ولهذا يحاولون الالتزام به، وعدم الخروج عليه عند التّخاطب ضمانا لسريان عمليّة التّواصل، بالإضافة إلى العُرف الاجتماعي الذي يَحْكُم طرائق **استعمال** ذلك الوضع. وإذا كان الوضع اللّغويّ ينحو منحى التّفرُّد والتّوحُّد في ضوابطه، فإنّ عُرْف استعمال اللّغة ينحو منحى التّعدُّد والاختلاف تبعا لظروف وعوامل متعددة، ولذا تَعرِف جميع الألسنة مستوياتٍ عدّة في الاستعمال تسمّى **مستويات الاستعمال اللّغويّ**، ومن هذه الالسنة اللّسان العربيّ الذي يعرف هو الآخر مستويات عديدة في استعماله. فما مفهوم المستوى اللّغويّ؟ وكيف تناوله الباحثون في حقل اللّسانيّات الاجتماعيّة؟ وما هي أسباب

ظهوره في اللّغة؟ وهل عرف اللّسانيّون العرب القدامى هذا المفهوم؟ وما هي أهم أبعاده التّطبيقيّة؟

.2. تعريف المستوى اللّغويّ: اختلفت الباحثون في تعريف هذا المفهوم فمنهم من عرَّفه بأنّه: "السّجِل الذي يستعمله متكلّم في إطار لغته نفسها بالنّظر إلى الوضع، وإلى المخاطب "(بن تريدي، 2010، ص. 285)، وعرفه "جون ديبوا "في معجمه بأنّه: "تلك الاستعمالات التي يُنجِزها كُلُّ متكلّم، انطلاقا من مستوى لغويّ موجود في المجتمع للغة معينة:(عائلي، شعبي، رفيع)" (DUBOIS, 1994, P. 406)وعرَّفه الباحث محمّد عيد بأنه:" النّموذج اللغويّ الذي يُحقق للناطقين به صِلاتهم الاجتماعيّة والفكريّة، ويحمل الخصائص اللغويّة التي تعارف عليها أهله، أصواتاً وبنيّة وتراكيبَ وإعراباً "(عيد، 1981، ص. 3).

ويُفهم من التّعريفات السّابقة أنّ المستوى اللغويّ هو طريقة في الكلام تحترم الوضع اللّغويّ للغة معيّنة، وتتميّز بسمات خاصّة مُتَعارَفٍ عليها من حيث الاستعمال، يشترك فيها عدد من المتكلّمين، ويستعملونها في ظروف اجتماعيّة مُعيَّنة. وعليه فإنّ جميع اللّغات وإن بدت للإنسان العادي غير المتخصّص على نهج واحد من حيث الاستعمال، إلاّ أنّ اللّسانيّين يثبتون أنّها تشتمل على عدّة أوجه استعماليّة، وهذه المستويات اللغويّة تنشأ عن عدّة عوامل أبرزها ذلك التّفاعل الحاصل بين اللّغة من جهة، وبين الظّواهر الاجتماعيّة من جهة أخرى، فالتّجانس الحاصل في وسط اجتماعي مُعيَّن يُحدث أثرا واضحًا في كلام مُستعملي تلك اللّغة، في ذلك الوسط الاجتماعي. قال الباحثان: "لانسون" و"ماييه": "في كل وسط اجتماعي مُتجانس السّكان، نجد عادة أنّ للّغة شيئًا من الوَحْدة، بل إنّه لشرط أساسي لوجود اللّغة أن يحرص من يتكلّمونها على استخدام نفس الوسائل للتّعبير. وهذا ما يُدركه أفراد كل جماعة مُحدَّدة. فالخروجُ عن جادة اللّغة يثير من يسمعونها، ويُعرِّض الخارجَ إلى السّخريّة على الأقل.

وإذن فهناك بالنّسبة لكل جماعة جادة لغويّة مُحدَّدة يحميها المجموع بردٍّ فعله" (لانسون ومايبه، 1982، ص. 122). وهكذا فلكلّ وسط اجتماعي مُعَّين عُرْف لغويّ خاصّ–وهو غير العُرف اللغويّ العام المتمثّل في الوضع اللغويّ – تظهر خصائصه في جميع مراتب اللّغة: الصّوتيّة، والإفراديّة، والتّركيبيّة والدّلاليّة. ومن المعلوم أنّ الباحثين الذين يبحثون في علاقة هذه الظّواهر اللّسانيّة بالظّواهر الاجتماعيّة هم اللّسانيّون الاجتماعيون، في تخصّص معين هو اللّسانيّات الاجتماعيّة: (Sociolinguistique).

3. أهم أسباب تميُّز هذه المستويات: يُورد الباحثون في هذا المجال جملة من الأسباب التي تؤدّي إلى تميّز المستويات اللّغويّة في اللّغة الواحدة، وبهذا الشّأن تقول الباحثة وسيمة عبد المحسن المنصور: "وتتحكّم في ذلك عوامل ومتغيّرات كثيرة، منها البيئة الاجتماعيّة والثّقافيّة، والانتماء المهني، أو الدّيني أو الفكري، وعامل المنطقة الجغرافيّة، والسّن والجنس، كلّها تُلْقِي بظلالها على المستخدِم"(وسيمة، 2003، ص.10–11) ومن هذه الأسباب يمكن أن نعرض ما يلي:

1.3 اختلاف المستوى الاجتماعي والثّقافي: فالإنسان يمرّ في حياته بفترات تختلف فيها خبرته وثقافته" وكُلَّما تقدَّم في السّن ازدادت ثقافته، واتسعت صِلاته اللغويّة (إمّا عن طريق المشافهة أو القراءة) ارتفع في السّلم اللّغويّ وانتقل ليحتل منطقة أرقى مِن التي كان فيها" (بدوي، 1972، ص.13). وقد يُطلِقُ بعضُ الباحثين على هذه المستويات النّاتجة عن تميُّز المستوى الاجتماعي والثّقافي مُصطلح **اللهجات الاجتماعيّة**، في مقابل **اللّهجات الجغرافيّة**، التي تنتج عن اختلاف المناطق الجغرافيّة.

2.3 اختلاف موقف الكلام: فالمتكلّم يحاول دوما أن يكون كلامُه مُناسبًا للظروف التي تجري فيها عمليّة التّخاطب، وهذه الظّروف تُشكِّل مواقف متنوّعة، يحرص المتكلّم على أن يكون كلامه فيها مُوافقا لكلٍّ منها "فقد

يستدعي أحدُ المواقف من شخص أن يتكلّم في اجتماع لمناقشة مسألة علميّة فإذا ما جلس مُتنفِّسا الصّعداء، التّفت إليه جاره في المجلس، وبدأ معه مناقشة جانبيّة في تلك المسألة عينها، فإذا ما خرج بعد الحفل، فقد يرغب في شراء بعض الفاكهة من السّوق. إذا ما قارنا بين اللّغة التي استخدمها ذلك الشّخص في هذه المواقف الثّلاثة، فسنجد أنّها تترتب ترتيبًا تنازليًا حسب الدّرجة التي تحتلها كُلٌّ واحدة في السّلَّم اللغويّ، ففي الموقف الأوّل يغلب أن يكون كلامه بالفصحى، وفي الثّالث بالعاميّة، وفي الثّاني بلغة بين بين، ويمكن أن يُطلق على هذا النّوع من الحركة أو الانتقال اللّغويّ اسم "المرونة اللغويّة" (بدوي 1972، ص. 14).

3.3 اختلاف فنون القول: فللشِّعر طريقة في التّعبير، وللنّثر طريقة أخرى باعتبار أنّ لكلٍّ منهما قالباً خاصّاً للقول، ومن ثم فلكلٍّ منهما أسلوبه الخاص الذي يُعْرَف به، وبذلك: "تتشعب كذلك لغة الكتابة أو اللّغة الفصحى إلى شُعَب مختلفة، تبعًا لاختلاف فنون القول التي تُسْتَخدم فيها، وما يمتاز به كُل فن منها: الشّعر، النّثر الأدبيّ، الخطابة، القصّة، الرّسائل، التّاريخ، القانون، تدوين العلوم...إلخ. وذلك أنّ كل فنّ من هذه الفنون يختلف عمَّا عداه في طبيعته وأغراضه البيانيّة، ومناهج الاستدلال فيه، ومقدار صلته بكلٍ من النّاحيتين الوجدانيّة والإدراكيّة، ومدى إقبال الجمهور عليه، وأثره في نفسه، وتلاؤمه مع اتجاهاته وحاجاته، ومبلغ نشاط المشتغلين به، وما يخترعونه فيه من اصطلاحات، ويدخلونه من أساليب، ويقتبسون عن اللغات الأجنبيّة من مفردات وأفكار. (وافي، اللّغة والمجتمع، دت، ص. 144).

4.3 اختلاف المنطقة الجغرافيّة التي يوجه إليها الخطاب: فالخطاب العام الذي يُوجَّه إلى رقعة جغرافيّة واسعة يكون بمستوى مُعيَّن من اللّغة، والخطاب الخاصّ الذي يُوجَّه إلى إقليم ضيق مُحدَّد يكون بمستوى آخر، قال الباحث محمّد عيد: "فمستوى الفصحى هو المستوى الذي يُراعَى في مواقف الخطاب

العام الذي يتخطّى حدود الإقليم الضّيق فعلا– كما في أجهزة الإعلام الحديثة – أو يُفْتَرض أنّه يتخطّاه إذا ما تجمَّع في مكان واحد أفرادٌ من أقاليم ذات بيئة خاصّة، إذ تُستخدَم عادة في شؤون الحياة العاديّة، ولعلّ هذا يفسّر تعدد لهجات اللّغة الواحدة وتنوّعها" (عيد، 1981، ص. 25 – 26).

5.3 اختلاف السّن والجنس: فاللّغة تتطوّر بتطوّر سن الإنسان، ولكلّ فترة من فترات ذلك التّطوّر ملامح تُميّزها، يعرفها أفراد المجتمع "وبما أنّ اللّغة تتطوّر مع سن الفرد، فإنّ لكلٍّ من تلك الأعمار صفات لغويّة تميّزها عن غيرها ويمرّ بها كُلُّ فرد في أثناء نموّه من الطّفولة حتى يصل إلى النّضوج الكامل كما أنّ أفراد المجتمع يعرفون القواعد التي تَحكم استعمال اللّغة في الأعمار المختلفة " (نايف، 1978 ص239)، وسُرعان ما يشعر أفراد المجتمع بخلل ما، عندما يخالف المتكلّم قواعد الاستعمال المتفَق عليها بين المتكلّمين في طبقة معينة "كأنْ يتكلّم رجل في الأربعين وكأنّه شاب مراهق، أو يتكلّم شاب مراهق، وكأنّه ابن العشرين، أو يتكلّم صبي في السّابعة، وكأنّه طفل رضيع وهكذا "(نايف، 1978، ص239). أمّا عن الجنس فإنّ الأمر يختلف بين الذّكر والأنثى، إذ لكل منهما مُفرداته الخاصّة به، ولكلٍّ طريقته في توظيف تلك المفردات " ومن أوضح الأمثلة على ذلك استعمال النّساء لعدد أكبر من الألوان مثل: المُوف، والتّركواز، البيج، والزّهر، والبني ...إلخ. وهي الكلمات التي نادرا ما يستعملها الرّجال، كما أنّ لغة النّساء تزخر بالصّفات التي تُعبِّر عن قوّة العاطفة، سواء كانت حقيقيّة أم تُستعمل من باب المجاملة فقط." (نايف 1978، ص24).

6.3 اختلاف الحِرَف والمِهَن: فكُلُّ مجموعة من الحرفيين تُشكِّل طبقة اجتماعيّة خاصّة تتواضع فيما بينها على مجموعة خاصّة من المفردات والعبارات، يسميها الباحثون باللهجات الخاصّة " فثمّة لهجة للأطباء وللنّجارين

والحدّادين والصّيادين واللصوص، وهناك لغة خاصّة بأهل القانون وبرجال الدّعوة الدّينيّة وبدوائر الاقتصاد." (الرّاجحي، 2004، ص. 42).

4 . تعدّد مستويات اللّغة والاختلاف فيه: يرى الباحثون في حقل اللّسانيّات الاجتماعيّة أنّ اللّغة في حال استعمالها في ظروف اجتماعيّة متباينة، يُلاحَظ عليها الاختلاف والتّنوع الذي لا يُخرجها عن الوضع اللغويّ المتفق عليه بين أبنائها، ومن هنا يمكن القول بأنّه: "لا توجد لغة على هيئة واحدة أو على نمط واحد أو على مستوى واحد، وإنّما هناك تنوع لغويّ، وفق معايير علميّة خاصّة. ويهتم علم اللّغة الاجتماعي بدراسة التّنوع اللّغويّ الذي يبدو على هيئة **لهجات إقليميّة** جغرافيّة، أو **لهجات اجتماعيّة**، أو **لهجات مهنيّة**، تخصّ مهنة معيّنة أو ميدانا خاصًّا." (الرّاجحي، 2004، ص. 32).

وهذا التّنوّع لا ينتبه إليه مُستعمل اللّغة غالبا، وإنّما الذي يُدركه هو الباحث في هذا المجال. غير أنّ الباحثين يختلفون في عدد مستويات اللّغة باختلاف الاعتبارات التي ينطلق منها كل فريق منهم، فهناك من ينطلق من اعتبار الرّسميّة وعدمها، فيرى أنّ اللّغة مستويان: مستوى الفصحى أو الفصيحة، وهو المستوى الرّسمي الذي تعتمده المؤسّسات الرّسميّة في المجتمع وسيلتَها الأولى في التّواصل. ومستوى العاميّة، وهو نقيض المستوى الأوّل، وهذا ما ذكره أحد الباحثين، وهو يصف الواقع اللغويّ المصري قائلا: "من الأفكار الشّائعة التي تصل درجة المسلَّمات أنّ التّركيب اللّغويّ للمجتمع المصري يقوم على محورين: الفصحى في أقصى اليمين، والعاميّة في أقصى اليسار، دون أن يكون بينهما أي لقاء مشروع، أو حتى لقاء غير مشروع، صحّةٌ مُطلقة من ناحيّة، وخطأٌ مطلق في الأخرى، أبيض وأسود، ولا شيء بينهما يَكسِر حدة الانتقال من الواحد إلى الآخر" (بدوي، 1972، ص7–8).

غير أنّ باحثين آخرين يرون أنّ مستويات اللّغة تتجاوز هذه الثّنائيّة، وأنّها تتعدّد بتعدّد العوامل السّابقِ ذكرُها، ومن هنا رأى أحد رواد كتابة المسرحيّة

المصريّة، وهو فرح أنطوان أن يستخدم في مسرحيته مصر الجديدة ثلاثة مستويات "هذه المستويات الثّلاثة هي ما دعاه بالفصحى، وخصّصه لأشخاص الطّبقة العليا، وما دعاه بالعاميّة، وخصّصه لأشخاص الطّبقة الدّنيا، ثم ما دعاه باللّغة المتوسّطة وخصّصه للسّيدات، وقد وصف هذه اللّغة الثّالثة بأنّها لا هي بالفصحى، ولا هي بالعاميّة، واقترح بأن تسمّى باللّغة المُخَفَّفة." (بدوي 1972 ص70). أمّا الباحثة وسيمة عبد المحسن المنصور فأثبتت في دراسة ميدانيّة تناولت فيها ساعات البث التّلفزي اليومي في المملكة العربيّة السّعوديّة أنّ المستويات اللغويّة تتجاوز ذلك، فقالتّ: "فمن الممكن رصْدُ مستوياتٍ للفصحى في ما يتلقاه المُشاهد في ساعات البث، اعتمادا على ما دونَّاه من ملاحظات مباشرة مُنطلِقة من مشاهدات متكرّرة لمحتوى برامج استغرقت منا ساعات طويلة خلال اليوم." (وسيمة، 2003، ص11).

في حين تحدَّث الباحث المصري السّعيد محمّد بدوي–وهو يصف الواقع اللغويّ المصري–عن خمسة مستويات، فقال: "تقوم هذه الدّراسة على الاعتراف بوجود خمسة مستويات من اللّغة في كل مجتمع لغويّ متكامل في مصر المعاصرة، هذه المستويات هي ما نصطلح على تسميته فيما بقي من هذا البحث باصطلاحات نحددها كالآتي:1: فُصحى التّراث: فصحى تقليديّة غير متأثرة بشيء نسبيا.2: فصحى العصر: فصحى متأثرة بالحضارة المعاصرة على الخصوص. 3: عاميّة المثقفين: عاميّة متأثرة بالحضارة المعاصرة.4: عاميّة المتنوِّرين: عاميّة متأثرة بالحضارة المعاصرة: 5: عاميّة الأميين: عاميّة غير متأثرة بشيء نسبيا، لا بالفصحى ولا بالحضارة المعاصرة."(بدوي، 1972 ص89). ومن خلال ما سبق نستنتج أنّه من الصّعوبة ضبطُ عدد المستويات اللغويّة في أيّة لغة، لتعدد العوامل المذكورة سلفا من جهة، ولأنّ كل مستوى من المستويات المذكورة، يُمكن أن ينطوي على مستويات متفرّعة عنه من جهة أخرى.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الفصل بين تلك المستويات ما هو إلاّ عَمَلٌ عِلْمِي أكاديمي، هدفه تسهيل دراسة كل مستوى على حِدَة، قصْد تحديد خصائصه. أمّا على مستوى الواقع اللّغويّ فإنّ تلك المستويات تبدو مُتداخلةً إلى حد كبير ومن هنا قال عنها أحد الباحثين: "والتّحديد الذي ذكرناه لكل مستوى ينبغي أن يُؤخذ على أنّه مجرّد تخطيط أكاديمي، يهدف إلى تسهيل دراسة كل مستوى على حِدة، وإلاّ فإنّ هذه المستويات تتدرَّج في واقع المجتمع... بحيث ينساب كل مستوى في المستوى المجاور له انسيابا، يتعذر معه تحديد بدايّة كل مستوى أو نهايته." (بدوي، 1972، ص9).

5 . المستويات اللغويّة في التّراث اللّسانيّ العربيّ: يرى بعض الباحثين العرب المحدثين أنّ اللّسانيّين العرب القدامى لم يعرفوا من مستويات اللّغة العربيّة إلاّ مستوى واحدا هو مستوى الفصحى. قال الباحث حلمي خليل: "لابد أن نعترف بأنّ التّراث اللغويّ العربيّ –رغم قيمته العلميّة الفريدة –قد اقتصر على دراسة اللّغة العربيّة وحدها، وعلى مستوى واحد من مستويات هذه اللّغة هو الفصحى، دون غيرها من اللهجات أو المستويات اللغويّة الأخرى."(خليل 2003، ص. 11).

غير أنّ المتمعّن في الدّراسات اللّسانيّة القديمة في تراثنا يجد ما يثبت خلاف ذلك، فقد ميَّزت تلك الدّراسات تمييزا واضحا بين مستويات اللّغة العربيّة وهذا ما نجده عند اللّسانيّين العرب القدامى المتقدمين، منهم والمتأخّرين على حد سواء. فالجاحظ (ت:255هـ) وهو من علماء القرن الثّالث الهجري تفطن إلى هذه المسألة، وسجلها بقوله: "فإنّ الوحْشي من الكلام يفهمه الوحشي من النّاس، كما يفهم السّوقي رطانةَ السّوقي، وكلامُ النّاس في طبقات، كما أنّ النّاسَ أنفسَهم في طبقات" (الجاحظ، 1998، ج:1، ص144). ويتّضح من هذا القول أنّ الجاحظ يربط تنوّع مستويات الكلام بتنوّع طبقات المجتمع، فكل طبقة اجتماعيّة تفهم الكلام الذي أَلِفتْه ودَرَجت على استعماله. وفي القرن

الخامس الهجري نجد القاضي عبد الجبار (ت: 415هـ) يبحث هذه المسألة ويرى أنّ الكلام أصناف، منها المتقدِّم في الفصاحة، ومنها الرّكيك، ومنها المتوسّط بينهما، ويبين أنّ المتكلّم إذا اعتاد على مستوى مُعين من هذه المستويات صَعُب عليه أن ينتقل إلى مستوى آخر، إلاّ بَعد مشقة وتعب قال: "حتى إنَّ بعضهم إذا اعتاد طريقة في الفصاحة المتقدّمة، لا يُواتيه الكلام المتوسّط والرّكيك، إلاّ بعد جهد وتكَلُّف "(القاضي، دت، ج:16، ص: 275). كما تحدث الرّئيس ابن سينا (ت:427هـ) عن الفرق بين الأسلوب الأدبي المُشرق، وخاصّة في فني الخطابة والشّعر، وبين الأسلوب العادي اليومي المألوف، فقال: "واعلم أنّ الاشتغال بتحسين الألفاظ في صناعة الخطابة والشّعر أمر عظيم الجدوى، وأمّا التّعاليم فإنّ اعتبار الألفاظ فيها أمر يسير ويكفي فيها أن تكون مفهومة غير مشتركة، ولا مستعارة، وأن تطابق بها المعاني" (ابن سينا، 1954، ج:8، ص:199) فهو يرى أنّ مستوى الخطاب الأدبي يحتاج إلى عنايّة خاصّة بالألفاظ، لتحقيق البعد الفنّي الجمالي، بخلاف مستوى الخطاب العادي الذي لا يتطلّب تلك العنايّة، وتكفي فيه مطابقة اللفظ للمعنى، والابتعاد عن الغموض.

ويرى باحثون آخرون أنّ اللّسانيّين العرب القدامى خلطوا بين مستويات اللّغة في تقعيدهم لها، ومن هؤلاء الباحث كمال بشر الذي قال: "انطلق اللغويّون بعْدُ إلى إخضاع هذا الكَم الغزير المُختلف المستويات للتقعيد، وحِرْصاً على تقعيد كُلِّ ما جمعوا –بقطع النّظر عن بيئته أو مصدره–أخضعوا هذه المادة ذات المستويات المختلفة لنظام واحد، بمعنى أنّهم أخضعوا الأمثلة المتفقة في شيء المختلفة في شيء آخر، لقاعدّة واحدة أو حُكم واحد، بمحاولة رده إلى ما رسموه من معايير، وضم هذه المتفقات المختلفات بعضها ببعض."(بشر 1999، ص: 33–34). وهو يرى أنّه كان حقيقا بهم أن يضعوا لكل مستوى لغويّ تقعيدا خاصا به، قال: "وكان من المفروض اتباع مبدأ تعدد الأنظمة ...

بمعنى وجوب مراعاة كل مستوى لغويّ على حدة، ووضع نظام خاص لكل مستوى: نظام للمستوى العام، نظام للهجات، نظام للغة الشّعر أو ضروراته نظام لكل ما جاوز الظّواهر اللغويّة العامّة، بسبب اختلاف الرّواة أو سياق الحال...إلخ" (بشر، 1999، ص: 33-34).

والحقيقة أنّ اللّسانيّين العرب القدامى عند تناولهم لمستويات الكلام انطلقوا من تمييزهم بين ما يعود إلى **الوضع**، وما يعود إلى **الاستعمال**، فللوضع قواعده وللاستعمال قواعده، والمستويات اللّغويّة التي وقفوا عليها تختلف فيما بينها في قواعد الاستعمال، لا في قواعد الوضع، ومن ثم فهي ترجع إلى نظام لغويّ واحد هو الذي وصفه اللّسانيّون العرب في كتب النّحو، أمّا قواعد الاستعمال فجاء وصفُها في كتب البلاغة العربيّة. ومن خلال الأقوال السّابقة يتبين لنا أنّ اللّسانيّين العرب القدامى كانوا على درايّة تامة بمستويات استعمال اللّغة العربيّة، وهم يميّزون بينها بصورة جليّة، ويدركون مواطن استعمال كل مستوى منها.

6 . الوضع الحالي للّغة العربيّة والمستويات اللّغويّة: حاول الباحثون في مجال اللّسانيّات الاجتماعيّة أن يشخّصوا واقع استعمال اللّغة العربيّة في الوطن العربيّ، وهم يكادون يتفقون على أنّ العاميات على اختلافها هي الغالبة في التّواصل الشّفهي بين أبناء الوطن العربيّ، ولا سيما عند عامّة المتكلّمين، أمّا الخاصّة من المثقفين فيستعملون مستوى الفصحى أو الفصيحة، وخاصّة في المواقف الرّسميّة، قال الباحث عبد الرّحمان الحاج صالح: "إنّ النّاطقين باللّغة العربيّة يلجأون في جميع البلدان العربيّة، ومنذ القديم إلى لغة تخاطب تسمّى بالعاميّة في التّعبير الشّفاهي عن الحاجات العاديّة اليوميّة، وتنفرد العاميّة بهذا الجانب من الحياة، وتختلف العاميات من جهة إلى أخرى قليلا أم كثيرا، كما يلجأ غيرُ الأميين منهم إلى اللّغة الفصحى في كل ماله علاقة بالثّقافة والتّعليم والحياة الرّسميّة، وكل ما يخصّ الإدارة ووسائل الإعلام، وغير ذلك، وتنفرد

الفصحى بكل ما هو مكتوب ولا تنحصر فيه أبدا."(الحاج صالح، 2008 ص:80).

ويمكن أن نقسم الحديث عن وضع اللّغة العربيّة الحالي في علاقته بالمستويات اللّغويّة إلى قسمين: وضع اللّغة العربيّة على مستوى التّعليم ووضعها على مستوى الاستعمال اليومي في التّخاطب.

6 . 1 . وضع اللّغة العربيّة على مستوى التّعليم: يعرف وضع اللّغة العربيّة على مستوى التّعليم في البلدان العربيّة الكثير من الصّعوبات مثل قِدَم طرائق التّعليم، وعدم مناسبتها لروح العصر، ونقص الوسائل التّعليميّة، ويرى الباحثون أنّ هذا الوضع كان سببًا في تأخّر اللّغة العربيّة عن مصاف اللّغات الأخرى قال الباحث عبد الرّحمان الحاج صالح: "وأمّا تعليم اللّغة العربيّة في مختلف المستويات فله سهم أيضًا في تأخّر العربيّة وعدم نجاحها في منافستها للّغات الأجنبيّة، وأكبر عيب في أنّه لا يتجدد كما يتجدّد تعليم اللّغات الغربيّة في مضمونه وطرائقه إلاّ قليلا، وعلى الرّغم من وجود كلّيات التّربيّة، وما يجري في بعضها من البحوث في تعليم العربيّة، فإنّ التّحسُّن الملاحظ في أكثر اللغات لا نحسّ بوجود ما يماثله في تعليم العربيّة، إلاّ ما شذَّ من ذلك في البلدان العربيّة." (الحاج صالح ع، 2009، ص:67)، إلاّ أنّنا سنقتصر هنا على البحث في الصّعوبات ذات الصّلة بالمستويات اللغويّة، ومنها ما يلي:

6 . 1 . 1 تأثير الازدواجيّة والثّنائيّة اللّغويّة: فالازدواجيّة بين اللّغة العربيّة وبين اللغات الأجنبيّة، والثّنائيّة اللّغويّة بينها وبين العاميات تُعدَّان من أهم المشكلات التي تواجه تعليم اللّغة العربيّة في الوطن العربيّ، إذ تم "عزلها عن مواقعها الطّبيعيّة، واستبدال لُسُن مختلفة بها في بعض ميادين العلم والثّقافة ويزيد في هذا العزل طغيان العاميات، وسيطرتها على الجو اللغويّ العربيّ بأجمعه" (بشر، 1999، ص:320).

6 . 1 . 2 عدم تحديد المستوى اللّغويّ المطلوب تدريسه: فاللّغة–أيّة لغة –كما ذكرنا سابقا تعرف مستويات عديدة، بحسب طبقات وأحوال المتكلّمين والمخاطبين، ومتعلّم اللّغة له حاجة مُحددة يريد أن يلبيها في إقباله على تعلّم هذه اللّغة أو تلك، كأنْ يتعلمها من أجل متابعة الدّراسة، أو من أجل السّياحة في بلد معين، وبذلك يختلف المستوى الذي ينبغي أن يدرسه، بحسب الغايّة من الدّراسة، غير أنّ تعليم اللّغة العربيّة في الوطن العربيّ كثيرًا ما يُغفِل هذه الحقيقة، ويتعامل مع هذه الحاجات بطريقة واحدة، فتُعطى المتعلّم مفردات وتراكيب غريبة عنه تعود إلى زمن قديم، وهو في غنى عنها، وهذا ما بينه أحد الباحثين بقوله: "تتضمن الكتب التّقليديّة أمثلة غريبة ومفردات حوشيّة لا تعتمد الإحصاء، ممّا يؤدي إلى حشو ذاكرة المتعلّم بقوائم من المفردات الباليّة والصّيغ القديمة، فيتعلّم الطّالب لغة مُتقعِّرة لا تفي بأغراض عالمنا الحديث."(طحان ريمون، 1984، ص: 95).

6–1–3 هيمنة مستوى اللّغة الأدبيّة في التّدريس: وممّا لاحظه الباحثون في محتويات تعليم اللّغة في الوطن العربيّ الاقتصار في التّعليم على مستوى واحد هو مستوى اللّغة الأدبيّة، دون غيرها من مستويات لغة الاستعمال اليومي. وعن هذا الخلل يقول الباحث عبد المجيد سالمي:" إنّ طرق تعليم العربيّة في بلادنا تعتمد على النّصوص الأدبيّة في إكساب الملكة اللغويّة الأساسيّة، ممّا يزيد في بُعْدِ لغتنا عن مجال الاستعمال في أحوال الخطاب العفوي، لأنّ الملكة البلاغيّة التي تُكْتَسب بالاعتماد على هذه النّصوص ويُعتنى فيها بالنّاحيّة الفنيّة والجماليّة، لا يرتقي إليها المتعلّم إلاّ بعد حصول الملكة الأولى عنده. وخير ما ننمّي به هذه الملكة هو الاستعمال المتواصل لها في كل الأحوال، حتى لا تبقى حبيسة جدران المدرسة، لا تتجاوزها إلى مواقف الحياة الواسعة، ومثل هذا الوضع الذي ننشده لا يتوفّر إلاّ باعتماد طرق التّعليم على

ما هو ضروري للخطاب، وإهمال غيره ممّا لا حاجة للمتعلّم فيه في هذا المستوى من تعلمه." (سالمي، 1994، ص:138).

6 . 1 . 4 تأثير خصائص الوجه المكتوب في الأداء الشّفهي: يرى بعض الباحثين أنّنا نحرص في تعليمنا اللّغة العربيّة على تلقين المتعلّم ذلك **المستوى التّرتيلي** الذي تتميّز به النّصوص المكتوبة– المقروءة، وليس **المستوى العفوي** الذي يجعل اللّغة العربيّة طيّعة سهلة، يتصرّف فيها المتكلّم في مقامات تواصليّة شتى، ويعود ذلك–حسب الباحث عبد الرّحمان الحاج صالح–إلى صعوبة مِعيار التّأديّة الذي نُعلِّمه، قال: "إنّ معيار التّأديّة الصّوتيّة الذي يُلقَّن الآن للأطفال في المدارس هو معيار مُجْهِد جدا، وغير طبيعي لكثرة ما فيه من الحشو واللغو، بل واللحن، وذلك كالتّهاون بقواعد الوقف(بإبقاء التّنوين أو الحركة في الموقوف عليه)، وتمديد الحركات أكثر ممّا يلزم، وقطع الهمزات في كل مَوضِع، وتكلُّف ما لا يجوز تكلفه في سَعة الكلام، والامتناع ممّا تُجيزه العربيّة من الإدغام واختلاس الحركات، وغير ذلك من أنواع التّخفيف الذي كان يلتزمه فصحاء العرب، وحكاه وبرَّره النّحاة الأوّلون الذين شافهوهم."(الحاج صالح ع. 2007، ص:132)، وهكذا أصبح تواصل المعلّم بالمتعلّمين متكلِّفا ثقيلا، "كأنّه تأديّة للغة مَيِّتة أو لغة لا تصلح إلا للتحرير والكتابة الفنيّة، لاحق لها أن تظهر على الألسنة، إلاّ بهذه الكيفيّة المصطنَعة" (الحاج صالح ع. 2007، ص:132).

6 . 2 وضع اللّغة العربيّة على مستوى الاستعمال اليومي: تعرف اللّغة العربيّة عدّة مشكلات على مستوى الاستعمال اليومي، منها مشكلة المصطلح العلمي، والازدواجيّة اللغويّة...إلخ. غير أنّه من المشكلات التي لها صلة بمستويات اللّغة يمكن أن نذكر ما يلي:

6 . 2 . 1 منافسة العامّيات للّغة الفصحى: فالملاحَظ على الاستعمال اليومي للّغة العربيّة هو أنّ مستوى الفصحى في عصرنا تراجع استعماله لصالح

العامّيات المختلفة. قال الباحث كمال بشر: "هذا الوضع الجديد واجه هؤلاء الرّاغبين في تعلم العربيّة بمشكلة حقيقيّة، هي أنّ اللّغة العربيّة الفصيحة لم يعد يستعملها العربُ أنفسُهم إلاّ في مواقف محدودة، تتمثّل في مواقف التّعليم والمناسبات الرّسميّة، وما أشبه. وأصبحت السّيطرة اللغويّة للعاميات بلهجاتها ورطاناتها، حتى صارت الأداة الأساسيّة الآن للتعبير والتّوظيف اللغويّ العام في الحياة اليوميّة الجاريّة، هذا بالإضافة إلى تعدد العاميات وتنوّعها في الوطن العربيّ، بل في البلد العربيّ الواحد." (بشر، 1999، ص:300). واضح أنّ الباحث يتحدّث عن الثّنائيّة اللغويّة بين مستوى اللّغة الفصحى، ومستوى العاميّة في المشرق العربيّ، والأمر نفسه في بلدان المغرب العربيّ، فقد قالت الباحثة فاطمة سحام: "تعدّدت الأسباب والدّوافع التي جعلتنا نهين لغتنا العربيّة ولا نتكلّم بها، أو لا نستطيع التّكلّم بها على الإطلاق، ويرجع ذلك أوّلا إلى انتشار العاميّة، فنحن المغاربة نتكلّم العاميّة في كل مجالات حياتنا اليوميّة."(سحام، 2011، ص:65).

6 -2 -2 حصر مستوى الفصحى في جانب التّحرير دون المشافهة: من المعلوم أنّ لكل لغة وجهين: وجه منطوق هو الأصل، ووجه مكتوب فرع عليه ولكلّ وجه من هذين الوجهين مجالات يُستعمل فيها، واستعمال اللّغة في الحياة اليوميّة يغلب عليه طابع المشافهة، لأنّ الاستعمال هو مشافهة قبل أن يكون تحريرا، غير أنّ واقع اللّغة العربيّة في الوطن العربيّ حَصَر استعمالها في زاويّة التّحرير، وسمح للعاميات بالهيمنة على مساحات واسعة من رقعة المشافهة وهو ما جعل أحد الباحثين يصف هذا الوضع قائلا: "إنَّ اطِّراح العربيّة من التّوظيف اللّغويّ العام، وإبعادها عن الاستخدام الحي المباشر نطقًا وحديثًا، يمنح اللهجات العاميّة فرصة ذهبيّة للذّيوع والانتشار والاستقرار." (بشر، 1999 ص:245-246).

6-2-3 حرمان المشافهة من استعمال المستوى العفوي من الكلام:

تعرف جميع لغات العالم مستويين من الاستعمال على الأقل، ولكل مستوى من هذه المستويات مواقف اجتماعيّة وتواصليّة يُستخدم فيها، فالمستوى التّرتيلي الإجلالي يُستَخدم في المواقف الرّسميّة، كالخطب الرّسميّة، والمرافعات القضائيّة وغيرها، أمّا المستوى العفوي الذي لا تَكَلُّف فيه فيُستَعمل في مواقفِ الأنس والألفة، كأن يخاطب الأب ابنه، أو الزّوج زوجته، قال الباحث عبد الرّحمان الحاج صالح: "ومهما يكن من أمر فإنّ جميع لغات البشر يوجد فيها مستويان اثنان في التّعبير كما قلنا، بالنّسبة إلى اللّغة الواحدة: المستوى المنقبض يجري في مقام الحُرمة، وخاصّة في الميدان الثّقافي، والمستوى المسترسل العفوي غير المتكلّف، وفيه أخطاء لا يرتكبها المتكلّم بالمستوى المنقبض.(الحاج صالح ع. 2008، ص:88). وهذا ما كانت عليه اللّغة العربيّة الفصحى في أزمنة ازدهارها في عهد الفصاحة العفويّة، وهو ما نقله النّحاة العرب وعلماء القراءات بصورة دقيقة، إذ سمَّوا المستوى الأوّل مستوى الإتمام، والمستوى الثّاني مستوى الإدراج، قال الباحث عبد الرّحمان الحاج صالح: "فقد كان العرب في مخاطباتهم العاديّة يختزلون ويحذفون، ويدغمون ويختلسون، ويُسمَّى ذلك الإدراج، وجاء ذلك أيضًا في القراءات القرآنيّة المشهورة وغيرها، وكل ذلك كان له مقابل، وهو الإتمام والتّحقيق والبيان، وفي القرآن التّرتيل، فهذا يدل على أنّ للعربيّة الفصحى مستويين-ككل لغة حيّة في الدّنيا-التّعبير الاسترسالي والتّعبير الإجلالي (لحرمة المقام)." (الحاج صالح ع، 2007، ص:64).

غير أنّ اللّغة العربيّة في عصرنا الحاضر فقدت بالتّدريج المستوى الثّاني وتراجع دورها في هذا المستوى لصالح العاميات المختلفة تارة، واللّغات الأجنبيّة تارة أخرى، وهكذا "فانعزال الفصحى-وهي لغة الثّقافة-عن الحالات الخطابيّة النّابضة بالحياة، أي الحياة اليوميّة هو خطير جدًّا، لأنّه تبدو بذلك العربيّة كأنّها لغة مُصْطنعة، غير طبيعيّة، وقد اقتنع بعضهم بسبب احتقاره للفصحى

بضرورة إقامة العاميات في كل بلد عربي مقام الفصحى، للنقص الفظيع الذي تتّصف به بالنّسبة إلى "حضارة المشافهة" الحديثة...إلاّ أنّ المجتمع الذي تكثر فيه الأميّة يبتعد فيه الأداء التّرتيلي عن الأداء العفوي، والطّامة الكبرى في ذلك هو أن يصير التّخفيف الخاصّ بالتّخاطب لحنا في اعتقاد أكثر النّاس، وهذا يجب تقويمه عند الخاصّة والعامّة." (الحاج صالح ع.، 2009، ص66-67).

7 . الأبعاد التّطبيقيّة لمستويات استعمال اللّغة العربيّة: لا شكّ أنّ الاهتمام بتعميق البحث في موضوع مستويات استعمال اللّغة العربيّة، والإسهام في معرفة خصائص كل مستوى على حدة، والمقام الذي يُستخدم فيه، يُفضي إلى استثمار نتائج البحث في الكثير من الجوانب التّطبيقيّة، وإلى الإسهام في إزالة الكثير من العوائق التي تُعيق تعميم استعمال اللّغة العربيّة وتعليمها على حد سواء. قال الباحث محمود فهمي حجازي: "هناك اهتمام جديد في الجامعات المصريّة بدراسة مستويات اللّغة العربيّة في العصر الحديث، وهو اتجاه جديد ومفيد، وله جوانب تطبيقيّة كثيرة، وكان العمل فيه متفاوتا من مجال إلى آخر ويلاحَظ أنّ الاتجاه إلى بحث المستويات المعاصرة، تركز على اللّغة المكتوبة ذلك أنّ الدّراسات الصّوتيّة ظلت قليلة، لندرة الإمكانات المحليّة، بدأت الدّراسات بمستويات اللّغة المكتوبة، وهناك دراسات أُعدت عن مستويات اللّغة في الصّحافة اليمنيّة المعاصرة، الخصائص التّركيبيّة في لغة الصّحافة المصريّة المعاصرة، الخصائص اللغويّة لكتب ثقافة الطّفل."(حجازي، 1993 ص:85). والأبعاد التّطبيقيّة لموضوع مستويات استعمال اللّغة العربيّة كثيرة سنقتصر في بحثنا هذا على تناول مجالين منها هما: مجال التّخاطب الشّفهي اليومي ومجال التّعليم والتّعلم.

7-1 مجال التّخاطب الشّفهيّ اليومي: رأينا سابقا أنّ اللّغة العربيّة في عصور ازدهارها، كانت تُستعمل باعتبارها لغة تخاطب في الحياة اليوميّة غير أنّ هذا الوضع تغير في عصرنا، فتراجعت عن هذه المكانة، لتفسح المجال

لمستوى العاميّة الذي حل محل الاستعمال العفوي للغة العربيّة الفصيحة، وهذا الوضع الطّارئ جعل الباحثين يختلفون في كيفيّة معالجته، فمنهم من رأى مستوى العاميّة طيِّعا في الاستعمال، فدعا إلى تعميمه، لأنّها "في نظرهم أوسع انتشارا، وأقرب منالا، وأسهل استيعابا، وأوفى بحاجات النّاس ورغباتهم في التّواصل وتدبير شؤونهم، إنّها معهم أينما حلُّوا وأينما ارتحلوا، في حين أنّ الفصحى قد نأت بها الدّيار، وتخلت عن الزّحف في المسيرة لضعف أجنادها وهُزال أسلحتها" (بشر، 1999، ص:6). ولكنّ العاميّة عاميات تختلف من قطر إلى قطر، بل وفي القطر الواحد تتعدد العاميات، فأي عاميّة نعتمد يا تُرى؟ ثم إنّ اللّغة العربيّة هي أهم عامل من عوامل الوحدة، ومُقوِّم من مقومات الأمّة العربيّة الإسلاميّة، تمتلك جملة من الخصائص، كالعموميّة وسَعة الانتشار، والجذور الضّاربة في التّاريخ، ممّا يجعلها مُرشَّحة لأن تكون لغة التّواصل، وهذا ما يراه معظم الباحثين في مجال اللّسانيّات الاجتماعيّة. قال أحدهم: "على أنّه من المهم أن نشير هنا إلى أنّ ثمّة اتفاقا بين العلماء على أنّ أفضل "نموذج" يمكن اختياره من اللّغة هو النّموذج الذي يمتاز بالعموميّة والشّمول، بأن يكون أوسع انتشارا، وأكثر استعمالا، وأقل تقيدا، وأن تكون له جذور تاريخيّة وامتداد ثقافي." (الرّاجحي، 2004، ص:43).

وهناك من تمسَّك بمستوى اللّغة الفصحى على الرّغم من أنَّ استعمالها ظل محصورا في المستوى الرّسمي الإجلالي، فقال: "والغايّة التي نهدف إليها من هذا التّخطيط المأمول هو العمل على أن يكون للعرب لغة ذات مستوى واحد يُظلِّل العرب جميعا، بلا فرق بين إقليم أو وطن عربي دون آخر، وهذا يعني التّخلص من هذه الأشتات المتنافرات من مستويات الكلام."(بشر، 1999 ص: 337). والحقيقة أنّ هذا الرّأي يبقى رأيا نظريا، والواقع العملي يشهد بخلافه ولطالما أكّد اللّسانيّون الاجتماعيون على حقيقة مفادها أنّ كل لغة تعرف عدّة مستويات، ولكلّ مستوى ظروف خطابيّة يُستعمل فيها "فكل من أمعن النّظر في

كتب اللغويّين العرب الأوّلين مثل كتاب سيبويه، ومعاني القرآن للفراء وغيرهما يعرف باليقين أنّه يوجد في العربيّة (كما هو الشّأن في جميع لغات الدّنيا) مستويان على الأقل: تعبير يستجيب لما يُسمّى بمقام الانقباض، ويعتني فيه المتكلّم– المشافِهُ عنايّة فائقة بتحقيق الحروف، ولا يختزل شيئا من الألفاظ وتعبير آخر يستجيب لما يُسمّى بمقام الأنس، وهو التّعبير الذي يسترسل فيه صاحبه، لأنّه يخاطب شخصًا مأنوسا كصديق أو ابن أو زوجة، وفيه يكثر الإدغام، والاختلاس للحركات، والحذف للكلمات، وغير ذلك من التّخفيف المعروف، وهو فصيح سُمع عن العرب الموثوق بعربيتهم كيف لا؟ وما كان العرب قديما يخاطبون بعضهم بعضًا في أنسهم إلاّ بهذا المستوى" (الحاج صالح ع.، 2007)، ص:162).

فاللسان يُوحِّد الأمّة، لأنّه وَضْعٌ مُوحَّد تواضعوا عليه منذ البدايّة، ولكن المستويات لا يمكن توحيدها، لأنّها تنتمي إلى الكلام الذي هو استعمال للسان في واقع التّخاطب، كما أنّ تعدّد المستويات في اللّغة دليل على وظيفيّة اللسان وثرائه. وعليه فإنّ إحياء هذا المستوى المستخَف الذي دعا إليه الباحث عبد الرّحمان الحاج صالح، يُعد أصح وأنجع علاج لمشكلة استعمال اللّغة العربيّة في الحياة اليوميّة، لأنّه ينسجم مع سُنن اللّسان من جهة، ولأنّ رصيده النّظري والتّطبيقي متوفّر في ما خلّفه اللّسانيّون العرب من تراث، وإمكانيّة إحيائه قابلة للتنفيذ من جهة أخرى.

7 . 2 في مجال التّعليم والتّعلّم: من الأسس العامّة المعتمدة في مجال تعليميات اللغات، ضرورة تحديد المستوى اللغويّ المنشود في تعليم لغة من اللغات، ولهذا فإنّ "الوصف اللّغويّ للمستويات اللّغويّة المراد تعلُّمها أساسٌ جوهري لتحديد محتويات المنهج اللّغويّ، ولاختيار المادة المناسبة، ومن ثم لا يجوز التّخطيط لمنهج لغويّ جاد قبل تعرُّف البنيّة اللغويّة للمستوى المنشود

وهذا الوصف اللّغويّ الدّقيق أحد المصادر المهمّة لاختيار المادة التّعليميّة" (حجازي، 1993، ص:137).

غير أنّ واقع اللّغة العربيّة يؤكد أنّ المقبل على تعلمها لا يدري أيُقْبِل على تعلم مستوى اللّغة العربيّة الفصحى أم إحدى عامياتها "ومن هنا اضطرب الرّاغبون في العربيّة أن يتعلّمون الفصيحة، وهي قليلة التّوظيف في وطنها أم العاميات وهي لا تُمثِّل العرب جميعا؟ إذ هي –كما قلنا –مُتعددة الأشكال والألوان؟ وكانت نتيجة هذا الوضع الشّائك أن تفرقت وتنوعت اتجاهات الدّارسين واضطربوا في اختيار المستوى اللغويّ الذي يأخذون به. (بشر 1999، ص: 300–301).

ويرى الباحث عبد الرّحمان الحاج صالح أنّ علاج هذا الوضع، يكون في المزاوجة بين المستوى التّرتيلي، وبين المستوى العفوي التّخفيفي في تعليم اللّغة للناشئة، بأن يكون المعلِّم على درايّة بمستويات اللّغة، أو على الأقل بهذين المستويين: ويجب أن يُنبِه المعلِّم المتعلِّم على وجود هذين المستويين، قال: "وعلى هذا ينبغي للمعلّم أن ينبّه المتعلّم على وجود وجهين على الأقل في تأديّة الأغراض، ولا يحصر العربيّة الفصحى في التّعبير المنقبض (المرتَّل) الذي لا يصلح إلا في مقام الحُرمة، فإذا استعمل هذا الأداء في غير هذا المقام، كان صاحبه عُرضة للاستهزاء، كالمتشدق الذي يخاطب النّاس في مَقام أُنْسٍ بكلام جزل. والأمثلة في ذلك كثيرة جدا، فإنّ المعلّم العادي لا يلقِّن أبدا لتلاميذه إلاّ تحقيق الهمزة، وقد سُمع تخفيفُها من فصحاء العرب، وقُرِئ به القرآن، وكذلك اختلاس الحركات (ويسمّى بالإخفاء أحيانا)، والإدغام فيما يجوز إدغامه، فإنّ المعلّم لا يعرف ذلك غالبا. ثم ما يجوز في مستوى التّخفيف الفصيح من التّقديم والتّأخير والحذف ما لا يتصوّره المعلّم العادي."(الحاج صالح ع. 2007، ص: 163).

وفضلا عن ذلك فلابد من تدريب المتعلّم على الأداء اللغويّ المستَخَف بدل الأداء المُجْهِد، ويكون ذلك عن طريق "إعداد معايير صوتيّة لتعليم النّطق الفصيح العفويّ، الذي عرفه فصحاء العرب في مخاطباتهم اليوميّة، وذلك لجعل العربيّة أكثر حيويّة، وأكثر انسجاما مع ما يتطلبه التّخاطب التّلقائي غير المتكلّف الذي يجب أن تتسم به اللغات الحيّة المنطوق بها بالفعل في جميع المناسبات، وذلك بالرّجوع إلى الثّروة الأدائيّة، التي تركتها لنا كتب القراءات القرآنيّة، حيث نجد فيها من أنواع الأداء الفصيح العفوي ما لا تعرفه المعايير المدرسيّة، أو لا تكترث به لشعور النّاس شعورا خفيا أنّ الفصحى هي لغة مطارحات أدبيّة" (الحاج صالح ع.، 2007، ص:118).

8. خاتمة: يمكن القول إنّ المستوى اللغويّ هو طريقة في الكلام لا تخرج عن الوضع اللغويّ العام المتعارف عليّة بين أبناء اللّغة، وتتميّز بسمات استعماليّة خاصّة، تتواضع عليها فئة من المتكلّمين، وتستعملها في مواقف محددة. وجميع اللغات تعرف هذه المستويات تبعا لظروف شتى، والباحثون مختلفون في عدد تلك المستويات في كل لغة، ومن الصّعوبة بمكان ضبط عددها، لأنّ المستوى الواحد قد يضم في ثناياه مستويات أخرى، وهي متداخلة إلى حد بعيد، ممّا يجعل الفصل بينها غير ممكن إلاّ في مجال تسهيل البحث العلمي.

وخلافا لما ذهب إليه بعض الباحثين المحدثين عندما ادَّعوا بأنّ اللّسانيّين العرب القدامى لم يعرفوا من مستويات اللّغة العربيّة إلاّ مستوى الفصحى، فإنّ النّظرة الفاحصة تثبت أنّهم عرفوا لها مستويات أخرى ووصفوها، وبينوا خصائص كُلٍّ منها. أمّا عن وضع اللّغة العربيّة على مستوى التّعليم فيتسم بتأثر عمليّة التّعليم والتّعلم بالازدواجيّة اللغويّة بين اللّغة العربيّة واللّغات الأجنبيّة من جهة، والثّنائيّة اللّغويّة بين اللّغة الفصيحة وبعض اللّهجات من جهة ثانيّة، وعدم تحديد المستوى اللّغويّ المطلوب تدريسُه، فضلا عن هيمنة

مستوى اللّغة الأدبيّة على العمليّة التّعليميّة التّعلميّة. وأمّا عن وضع اللّغة العربيّة على مستوى الاستعمال اليومي فيتميز بطغيان مستوى العاميّة على رقعة الاستعمال، وحرمان المشافهة من المستوى العفوي. إنّ تعميق البحث في مستويات استعمال اللّغة العربيّة، يمكنه أن يسهم في تصحيح هذا الوضع فإحياء المستوى العفوي يمكن أن يحل مشكلة الاستعمال اليومي للغة العربيّة كما أنّ المزاوجة بين المستويين التّرتيلي والعفوي يمكنها أن تحلّ مشكلة تعليم وتعلّم اللّغة العربيّة.

9: الهوامش:

أبو الحسن عبد الجبار القاضي. (دت). المُغني في أبواب التّوحيد والعدل .إعجاز القرآن ج:16: تحقيق: أمين الخولي.

الرّاجحي عبده. (2004). علم اللّغة التّطبيقي وتعليم العربيّة. بيروت. لبنان: دار النّهضة العربيّة.

بدر الدّين بن تريدي. (2010). قاموس التّربيّة الحديث عربي فرنسي إنكليزي. الجزائر: المجلس الأعلى للغة العربيّة.

بيطار طحان دنيز، طحان ريمون. (1984). اللّغة العربيّة وتحديات العصر. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

حسين بن عبد الله ابن سينا. (1954). الشّفاء. القاهرة: دار الأميريّة.

حلمي خليل. (2003). دراسات في اللّسانيّات التّطبيقيّة. الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة.

خرما نايف. (1978). أضواء على الدّراسات اللغويّة المعاصرة. الكويت: عالم المعرفة.

عبد الرّحمن الحاج صالح . (2007). بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة ج1. الجزائر: موفم للنشر والتّوزيع.

عبد الرّحمن الحاج صالح. (2008). العاميات العربيّة ولغة التّخاطب اليومي. اللّغة العربيّة.

عبد الرّحمن الحاج صالح. (2009). إعادة الاعتبار للغة العربيّة في المجتمع العربيّ. مجلّة اللّغة العربيّة المجلس الأعلى للغة العربيّة.

عبد المجيد سالمي. (1994). مدخل إلى علم تعليم اللغات: مبادئ تعليم اللّغة العربيّة والعوامل المؤثرة فيه. مجلة اللّغة والأدب، جامعة الجزائر، الصّفحات 135 – 142.

عبد المحسن المنصور وسيمة. (2003). مستويات الاستعمال اللغويّ في ساعات البث اليومي. المملكة العربيّة السّعوديّة: جامعة الملك سعود.

عبد الواحد وافي. (دت). اللّغة والمجتمع. القاهرة. مصر: دار النّهضة.

عبده الرّاجحي. (2004). علم اللّغة التّطبيقي وتعليم العربيّة. بيروت. لبنان: دار النّهضة العربيّة.

عمرو بن بحر الجاحظ. (1998). البيان والتّبيين.ج:1. القاهرة. مصر: مكتبة الخانجي.

فاطمة سحام. (2011). الفصحى أم العاميّة لماذا لا يتكلّم طلبتنا لغة عربيّة فصيحة؟ . مجلة علوم التّربيّة، ع47، الدّار البيضاء. المملكة المغربيّة، الصّفحات 63 – 72.

كمال بشر. (1999). اللّغة العربيّة بين الوهم وسوء الفهم. القاهرة. مصر: دار غريب للطباعة والنّشر والتّوزيع.

لانسون ماييه. (1982). منهج البحث في الأدب واللّغة. بيروت: دار العلم للملايين.

محمّد بدوي. (1972). مستويات العربيّة المعاصرة في مصر. مصر: دار المعارف.

محمّد عيد. (1981). المستوى اللغويّ للفصحى واللهجات وللنثر والشّعر. القاهرة، مصر: عالم الكتب.

محمود فهمي حجازي. (1993). البحث اللغويّ. مصر. مصر: مكتبة غريب للطباعة.

Jean DUBOIS, Dictionnaire de linguistique et du science du langage. (1994). Paris: Larousse .